

من الإعلان إلى المعنى:

التصوير التجريدي في فضاء الاستوديو الفني

د.عبدالباري محمد مادي

كلية الفنون والتصميم، جامعة طرابلس

a.madi@uot.edu.ly

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث تجربة فنية معاصرة في مجال التصوير الدعائي داخل فضاء استوديو محترف، حيث تم تحويل المنتجات والعناصر اليومية إلى تكوينات بصرية تجريدية ذات دلالات جمالية ورمزية. يعتمد البحث على تحليل بصري لأعمال تصويرية توظف اللون، المادة، والإضاءة بطريقة تحرر المنتج من طابعه التجاري التقليدي، وتمنحه بعداً تأملياً وفنياً. كما يسعى البحث لفهم العلاقة بين التجريد والتصوير الإعلان، ودور المصور في إعادة تشكيل المعنى من خلال بيئة صناعية خاضعة للسيطرة الكاملة. يهدف البحث أيضاً إلى سدّ فجوة معرفية في الدراسات العربية المتعلقة بالتصوير التجريدي داخل فضاءات الاستوديو. كما يُسهم في إثراء الخطاب البصري العربي من خلال تجربة فنية قائمة على إنتاج ذاتي وتحليل تأملي.

الكلمات المفتاحية: التصوير التجريدي - الاستوديو - الفن والإعلان - اللون في التصوير - الصور المعاصرة.

Abstract:

This research explores a contemporary artistic experience in the field of promotional photography within a professional studio space. The study transforms everyday objects and products into abstract visual compositions imbued with aesthetic and symbolic meanings. Through visual analysis of photographic works, the research highlights how color, material, and lighting are used to liberate the product from its conventional commercial identity and elevate it into a contemplative, artistic realm. The study further investigates the intersection between abstraction and advertising photography, emphasizing the photographer's role in reshaping meaning within a fully controlled synthetic environment.

The study also aims to bridge a knowledge gap in Arabic literature on abstract photography within studio spaces. It contributes to the regional visual discourse through a self-produced and conceptually reflective artistic experience.

Keywords: Abstract photography – studio – art and advertising – color in photography – contemporary images.

المقدمة:

شهد فن التصوير الفوتوغرافي تحولات جذرية في أدواته وأساليبه ومجالاته التعبيرية، إذ لم يعد مقتصرًا على توثيق الواقع أو تصوير المنتجات لأغراض تجارية بحتة، بل أصبح أداة للتأمل والطرح الفني المفاهيمي. في هذا السياق، تبرز تجربة التصوير داخل الاستوديو كمجال غني لإعادة تشكيل المعنى وتحرير العناصر البصرية من دلالاتها التقليدية.

انطلاقًا من هذه الرؤية، يقدم هذا البحث قراءة فنية وتحليلية لأعمال تصوير دعائي تجريدي نُفِذت داخل استوديو مُجهّز بإمكانات احترافية، حيث تتحول المنتجات والعناصر اليومية إلى تكوينات بصرية تحمل بعدًا رمزيًا وجماليًا. ويعتمد هذا الاتجاه على السيطرة الدقيقة على الإضاءة والخلفية والمواد، بما يمنح المصور حرية تشكيل العالم البصري وفق رؤيته الذاتية.

ومن خلال دراسة هذه التجربة، يسعى البحث إلى فهم كيف يمكن تحويل الفضاء الدعائي التجاري إلى مختبر فني يسمح بإنتاج خطاب بصري مستقل، وتحليل كيفية توظيف اللون، الظل، المادة والانعكاس كأدوات للتجريد والتعبير الفني داخل نطاق استوديو محكوم.

إشكالية البحث

رغم الانتشار الواسع للتصوير الدعائي في السياقات التجارية، إلا أن هذا النوع من التصوير غالبًا ما يُنظر إليه بوصفه ممارسة تقنية تهدف إلى الترويج، دون اعتبار لجوانبه الجمالية أو الرمزية. في المقابل، يفتقر المجال الأكاديمي العربي إلى دراسات معمّقة تتناول التصوير الدعائي من منظور فني تجريدي، خصوصًا داخل فضاء الاستوديو الذي يُعد بيئة مثالية للتحكم الكامل في عناصر الصورة.

تنطلق إشكالية هذا البحث من التساؤل:

هل يمكن للتصوير الدعائي أن يتحوّل إلى ممارسة فنية تجريدية تحمل دلالات رمزية وتأملية،

إذا ما تم إنتاجه داخل فضاء استوديو خاضع لرؤية المصور؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية عدة محاور، منها:

- غياب التناول النظري العربي للتصوير الدعائي التجريدي.
 - محدودية الدراسات التي تربط بين فلسفة الإضاءة والتكوين الرمزي داخل الاستوديو.
 - الحاجة إلى إعادة تعريف وظيفة المصور كمؤلف بصري، لا مجرد منفذ تقني.
- كما يسعى هذا البحث إلى معالجة هذه الإشكالية من خلال تحليل بصري لأعمال تصويرية منتجة داخل استوديو فني، بهدف الكشف عن الإمكانيات التعبيرية الكامنة في هذا النوع من التصوير، وتقديم قراءة فنية تتجاوز الطابع التجاري التقليدي.

تساؤلات البحث:

تمثل تساؤلات البحث البوصلة التي توجه الدراسة وتحدد نطاقها وتحليلها. وفي هذا السياق، تُطرح التساؤلات التالية:

1. كيف يمكن للمصور تحويل التصوير الدعائي إلى شكل فني تجريدي داخل فضاء الاستوديو؟
2. ما دور الإضاءة، اللون، والخلفية في تشكيل المعنى الرمزي للمنتج المصور؟
3. هل يمكن أن يتجاوز التصوير الدعائي طبيعته التجارية ليُصبح وسيطاً بصرياً تأملياً؟
4. ما هي الخصائص الجمالية التي تميز التصوير التجريدي الدعائي عن التصوير الإعلاني التقليدي؟
5. كيف يُعيد المصور بناء العلاقة بين الذات والموضوع في بيئة مصطنعة ومحكومة بالكامل؟

أهداف البحث:

1. الكشف عن إمكانيات التصوير الدعائي التجريدي كوسيط فني يتجاوز الغاية التجارية.
2. تحليل التكوينات البصرية المنتجة داخل فضاء الاستوديو من حيث اللون، الإضاءة، المادة، والرمزية.
3. توضيح كيفية توظيف المعدات التقنية الحديثة (كاميرات رقمية، برمجيات، وحدات إضاءة متنوعة، عواكس...) في خلق صور تحمل قيمة جمالية مستقلة.
4. رصد التحول في وظيفة المصور من "منفذ تقني" إلى "مؤلف بصري".

5. دراسة العلاقة بين البيئة الصناعية (الاستوديو) والحرية الإبداعية في بناء المعنى.

أهمية البحث:

أهمية علمية

يسهم هذا البحث في إثراء مجال الدراسات البصرية من خلال تسليط الضوء على نمط تصوير غير تقليدي يجمع بين الجانب الإعلاني والتجريدي.

أهمية فنية وتطبيقية

يُبرز إمكانات الاستوديو كمختبر فني وليس فقط مساحة تنفيذ إعلاني، ويؤقر مرجعاً لفنانين ومصورين يبحثون عن تجاوز النمطية في التصوير التجاري.

الدراسات السابقة:

شهد التصوير الفني التجريدي، خاصة داخل فضاء الاستوديو، اهتماماً متزايداً في الدراسات المعاصرة التي سعت إلى إعادة التفكير في العلاقة بين الإعلان، الضوء، التكوين، ودلالة الصورة. وقد تباينت توجهات الباحثين بين ما هو تقني تحليلي، وما هو فلسفي مفاهيمي.

أولاً: دراسات حول التجريد في التصوير الفوتوغرافي

• ديفيد كوستيلو (2020) في دراسته *What is Abstraction in Photography?*

يناقش مفاهيم التجريد الفوتوغرافي من منظور فلسفي، ويؤكد أن التجريد ليس غياباً للمعنى، بل إعادة توجيه الإدراك نحو عناصر الصورة غير التقريرية مثل الضوء والخطوط والفراغ.

ثانياً: دراسات حول فلسفة الإضاءة واللون

• في رسالة الدكتوراه (2004) **AE Ray**، تم تحليل الضوء كأداة مفاهيمية ومجازية،

وليس فقط تقنية. يبين الباحث كيف يمكن للإضاءة أن تُبنى كخطاب داخل الصورة الفوتوغرافية.

- كما يضيف (2012) Robert Hirsch في كتابه *Light and Lens* منظورًا تطبيقيًا عن دور الضوء في إنشاء دلالة داخلية في الصورة الفوتوغرافية الحديثة، خاصة في بيئات الاستوديو.

ثالثًا: دراسات تربط بين الفن والإعلان

- يرى (2017) Victor Moullin أن التصوير الإعلاني المعاصر يمكن أن يتحول إلى تصوير تجريدي رمزي إذا تم التعامل معه من منظور فني وليس تسويقي فقط، وهو ما يتقاطع مع محور البحث الحال. وقد أشار مولان (Moullin، 2017، ص. 88) في دراسته إلى أن الحدود بين الفن والإعلان باتت أكثر تداخلًا، معتبرًا أن نية التكوين الجمالي قادرة على إعادة تصنيف الصورة، بغض النظر عن وظيفتها الأصلية أو الوسيط الذي تُعرض من خلاله.
- وتقدم (Liz Wells 2021) رؤية نقدية للعلاقة بين الإطار الفني (مثل الخلفية البيضاء أو السوداء في الاستوديوهات) ودلالة العمل، مؤكدة أن مكان التصوير يُصبح جزءًا من المعنى وليس مجرد محيط تقني.

خلاصة الدراسات السابقة:

تشير الدراسات السابقة إلى أن التصوير داخل الاستوديو قد تطور من مجرد تقنية إنتاج إلى فضاء إبداعي وفكري، ويمكن عبه صياغة رؤية رمزية من خلال أدوات كالضوء، المادة، التكوين، والتجريد.

أوجه التشابه والاختلاف مع البحث:-

يتشابه البحث الحالي مع الدراسات السابقة في التركيز على الإضاءة والتكوين كأدوات لإنتاج المعنى، ويختلف عنها في التطبيق العملي داخل فضاء الاستوديو العربي، وفي توظيف التجريد ضمن سياق دعائي معاصر، مما يمنح البحث بعدًا تطبيقيًا وفنيًا خاصًا.

تعريف المصطلحات

- لضمان وضوح المفاهيم الأساسية المستخدمة في البحث، يتم تقديم التعريفات التالية:
- **التصوير التجريدي**: أسلوب تصوير يركز على الأشكال والألوان بعيداً عن التمثيل الواقعي، ويهدف إلى إنتاج دلالات مفتوحة للتأويل.
- **التصوير الدعائي**: تصوير يهدف إلى إبراز المنتجات أو الخدمات بشكل جذاب لأغراض تسويقية، ويمكن أن يتحول إلى ممارسة فنية إذا تم التعامل معه بوعي جمالي.
- **الاستوديو الفني**: فضاء مجهز للتحكم بالإضاءة والخلفيات لإنتاج صور ذات طابع فني، ويُعد مختبراً بصرياً للتجريب والتكوين.
- **فلسفة الإضاءة**: منظور نظري يدرس دور الضوء في بناء المعنى داخل الصورة، باعتباره عنصراً دلالياً وليس مجرد أداة تقنية.
- **التكوين البصري**: تنظيم العناصر داخل الصورة من حيث الشكل، اللون، الكتلة، والفراغ لتحقيق انسجام جمالي ودلالي.

الإطار النظري:

أولاً: التصوير الفوتوغرافي كوسيط تعبيرى

شهد التصوير الفوتوغرافي تحولات جوهرية منذ اختراعه، حيث انتقل من كونه أداة للتوثيق إلى وسيلة تعبير فني ومفاهيمي. لم يعد المصور مجرد ناقل للواقع، بل أصبح صانعاً للمعنى. وفي هذا السياق، بدأ العديد من الفنانين في إعادة تعريف وظيفة التصوير، سواء في الفضاءات المفتوحة أو المغلقة، وخصوصاً داخل الاستوديوهات. وقد أتاحت الممارسات المعاصرة للمصورين تجاوز الحياد البصري لصالح مواقف فكرية وجمالية متفردة، تُعبّر عن الذات أو تعالج قضايا رمزية.

كما أصبح الاستوديو أداة تكوينية متكاملة تسمح ببناء مشاهد تُصاغ وفق تصوّر مسبق، وتُدار فيها كل عناصر التكوين من ضوء وخلفية وكتلة ولون. هذا التحول يعزّز فكرة التصوير بوصفه "لغة تشكيلية ضوئية"، لا تقل تعقيداً أو عمقاً عن الرسم أو النحت من حيث التكوين والدلالة.

ثانياً: الاستوديو: من مساحة إنتاج تجاري إلى مختبر بصري

يُعد الاستوديو تقليدياً فضاءً صناعياً لإنتاج الصور الإعلانية أو الشخصية. غير أن العديد من الفنانين المعاصرين بدأوا في استثماره كمكان للتحرر الفني وإعادة خلق الواقع وفقاً لرؤية ذاتية. الاستوديو في هذا البحث لا يُستخدم بوظيفته التسويقية فقط، بل يتحول إلى مختبر رمزي تُنتج فيه الصور كمفاهيم، وليس كسلع. وقد ناقش (Hirsch, 2012, p. 45) هذه النقطة معتبراً أن الإضاءة داخل الاستوديو ليست فقط أداة تقنية، بل تُعد عنصراً تعبيرياً يخلق أجواء مفاهيمية للصورة.

وقد استثمر عدد من الفنانين المعاصرين فضاء الاستوديو كأداة تأليف رمزية تتجاوز البعد التجاري، من أبرزهم **Irving Penn** الذي عُرف بتكويناته الدقيقة والمعزولة في الاستوديو، و **Weston Edward** الذي استخدم الإضاءة والخلفية لتحويل الموضوعات البسيطة إلى أشكال مجردة مشبعة بالدلالة. تُبرز أعمالهما كيف يمكن للاستوديو أن يُصبح فضاء فلسفياً لابتكار الصورة، لا مجرد مساحة للإنتاج التقني.

وفي هذا السياق، يرى (Kantas, 2014, p. 102) أن الاستوديو يُعدّ فضاءً مغلقاً يُعيد إنتاج المعنى، لا مجرد وسيط لنقل الشكل البصري.

ثالثاً: التصوير التجريدي: المفهوم والسمات

التصوير التجريدي يتجاوز تمثيل الواقع المرئي، ليقدم عناصر معزولة (لون، شكل، خط، مادة) تُقرأ من منظور ذاتي وتأملي. في هذا السياق، يصبح المنتج مادة خام تُعاد صياغتها بصرياً لإنتاج انطباعات أو رموز مفتوحة التأويل.

يرى **الهواري** (2016، ص. 35) أن التصوير الفوتوغرافي لا يكتمل إلا عندما يُوظف التكوين والإضاءة والزاوية لإنتاج حالة شعورية أو رمزية تتجاوز التوثيق البصري، وهو ما يتقاطع مع فكرة التجريد الدعائي التي يسعى هذا البحث إلى إبرازها داخل فضاء الاستوديو.

وبهذا الصدد، يؤكد (Costello, 2020, p. 9) أن التصوير التجريدي هو ممارسة تعيد توجيه الانتباه من المضمون الظاهر إلى البنية الشكلية، وتفتح باب الإدراك الحسي للمتلقي، بعيداً عن السرد أو المرجعية المباشرة.

السمات العامة:

- إلغاء التفاصيل التقريرية.
- التركيز على التكوين الهندسي أو العضوي.
- اللعب باللون والضوء والظل.
- غياب "القصة" التقليدية لصالح الانطباع أو التكوين البصري.

رابعاً: التصوير الدعائي من منظور فني

عادةً ما يُنظر إلى التصوير الدعائي كوسيلة لإبراز المنتج بطريقة جذابة بهدف التأثير على المستهلك. لكنه في السياقات الفنية المعاصرة يمكن أن يتحوّل إلى لغة جمالية، إذا ما تم التعامل معه بأدوات الفنان لا المصمم التسويقي. في هذا البحث، يتم النظر إلى التصوير الدعائي بوصفه حالة فنية يمكن فيها للمُصوّر أن يتجاوز الوظيفة التجارية ويقترح قراءة رمزية جديدة للأشياء.

خامساً: فلسفة الإضاءة في التصوير الفني

لا تُعد الإضاءة في التصوير الفني مجرد عنصر تقني لإنارة الموضوع، بل تتجاوز ذلك لتُصبح مكوناً تعبيرياً يتحكم في المزاج البصري ويوجّه إحساس المتلقي. وقد تناول (Ray, 2004, p. 66) الضوء كوسيط مفاهيمي في التصوير، معتبراً أنه يُستخدم كمجاز بصري لإنتاج معنى يتجاوز حدود الشكل، خاصة داخل بيئات الاستوديو حيث التحكم الكامل في مصدر الضوء واتجاهه وكثافته. كما يناقش (Terpstra & Hoffman, 2024, p.112) الضوء داخل الفضاءات البصرية باعتباره عنصراً رمزياً يتجاوز الإنارة، مؤكداً أن التحكم بالإضاءة في فضاء مصطنع كاستوديو يتيح بناء معانٍ مرئية وإحساس بصري موجه. كما يُشير الزعبي (2020، ص. 78) إلى أن الإضاءة لا تُستخدم فقط للوضوح البصري، بل تُعد وسيطاً تعبيرياً فاعلاً في إنتاج المعنى وإبراز التكوين الفني، إذ تتحكم بدرجة تأثير الصورة على المتلقي بصرياً ووجدانياً.

سادساً: العلاقة بين المصور والآلة في العصر الرقمي

مع تطور تقنيات التصوير الرقمي، لم يعد فعل التصوير مقتصرًا على لحظة التقاط الصورة فحسب، بل أصبح عملية مركبة تشمل التخطيط البصري، التحكم بالضوء، وضبط عناصر

الصورة من خلال تقنيات متقدمة. وقد ساهمت الكاميرات الرقمية المرتبطة بالحواسيب والبرمجيات المصاحبة في تعميق سيطرة المصور على مخرجاته البصرية، مما جعله أشبه بـ"مهندس بصري" يعمل داخل فضاء منظم ومحكوم. وفي هذا السياق، تُعد التجارب التطبيقية داخل الاستوديو نموذجًا واضحًا لكيفية توظيف هذه التقنيات لإنتاج صور تتجاوز الوظيفة التقريرية، نحو خلق دلالات رمزية وجمالية مستقلة.

منهجية البحث وحدوده:

نوع البحث:

بحث نوعي تحليلي فني يعتمد على دراسة حالة خاصة من خلال تحليل بصري لأعمال تصويرية منتجة داخل فضاء الاستوديو باستخدام تقنيات حديثة.

المنهج العلمي

اعتمد البحث على المنهج النوعي التحليلي، من خلال دراسة حالة تطبيقية لمجموعة من الأعمال الفوتوغرافية المنتجة داخل استوديو احترافي، مع التركيز على تحليل التكوينات البصرية والإضاءة والرمزية.

أدوات البحث

- تحليل المحتوى البصري: لتفكيك عناصر الصورة من حيث الشكل، اللون، الكتلة، والفراغ.
- تحليل التكوين الضوئي: لدراسة توزيع الإضاءة والظلال والانعكاسات بوصفها مكونات دلالية.
- المعالجة الرمزية: لفهم كيف تتحول العناصر المصورة إلى رموز بصرية تُنتج معنى خارج الوظيفة الأصلية.
- الملاحظة الذاتية: توثيق تجربة الباحث المباشرة في الإعداد والتصوير والتحكم بكافة المتغيرات داخل بيئة الاستوديو.

حدود البحث

1. **الحدود الموضوعية:** ركّز البحث على تحليل بصري لعدد محدود من الصور المنتجة داخل استوديو فني خاص، مما قد لا يغطي كافة أنماط التصوير الدعائي التجريدي أو توجهاته المختلفة في السياقات العالمية.

الحدود المنهجية: اعتمد البحث على المنهج التحليلي البصري دون إجراء مقابلات مع مصورين آخرين أو متلقين، مما يُبقي زاوية التحليل في إطار ذاتي أو فني بحت.

الحدود الزمنية: تم الاقتصار على أعمال تم إنتاجها خلال الفترة من 2019 إلى 2024، وهي فترة محددة لا تُمكن من تتبع تطورات طويلة الأمد في الممارسة.

2. **الحدود المرجعية:** على الرغم من إدراج مرجعين عربيين يُلامسان موضوع التصوير الفني والإضاءة البصرية، إلا أن الدراسات العربية المتخصصة تحديداً في موضوع "التصوير التجريدي الدعائي داخل الاستوديو" ما تزال محدودة، لذلك، تم الاعتماد بشكل رئيسي على مراجع أجنبية حديثة لتغطية المفاهيم النظرية والتقنيات الفنية، مع الحرص على استحضار السياق المحلي ما أمكن من خلال التجربة الذاتية في إنتاج الصور داخل البيئة العربية.

تحليل الأعمال الفنية:

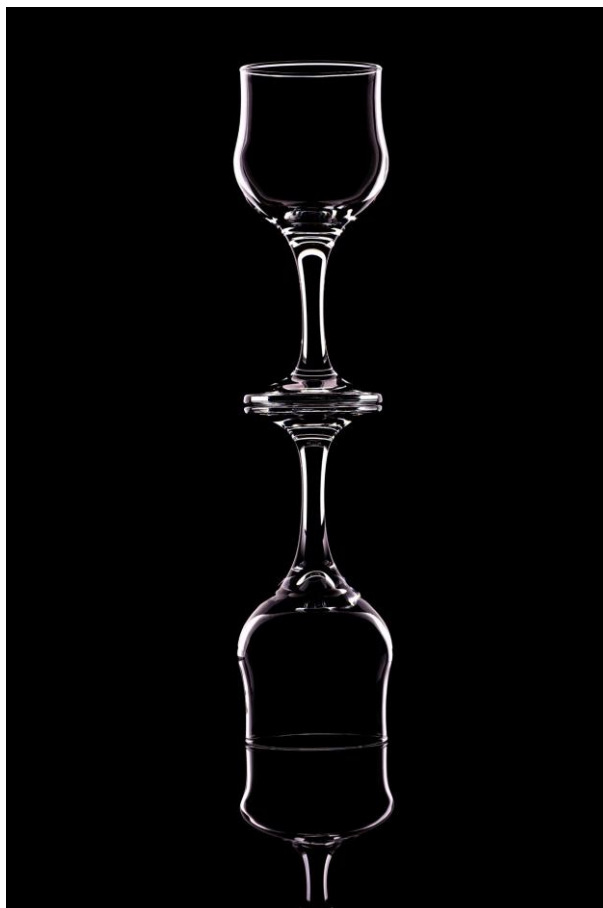
يعتمد هذا الجزء على تحليل بصري دقيق لعينة من الأعمال الفنية التصويرية المنتجة داخل فضاء الاستوديو باستخدام تقنيات رقمية حديثة. يتمحور التحليل حول كيفية تحويل المنتجات أو العناصر اليومية إلى تراكيب رمزية ذات طابع تجريدي، من خلال توظيف الإضاءة، اللون، المادة، الخلفية، والزوايا البصرية. ويستند هذا التحليل إلى منهج قراءة الصورة كخطاب بصري ذي دلالات مفتوحة.

العمل الأول: انعكاس الكأس الزجاجي

- **العنصر المصوّر:** كأس زجاجي مقلوب على سطح عاكس.
- **التحليل البصري:** يتسم التكوين بالبساطة الهندسية العالية، حيث تبرز تناظرات دقيقة ناتجة عن الانعكاس، مما يخلق صورة مزدوجة للكائن، وكأن الكأس يتحوّل إلى رمز

للتوازن أو الانقسام. الخلفية الداكنة تزيد من حدّة الضوء المحيط، وتمنح الكأس حضوراً رمزياً يتجاوز وظيفته المادية.

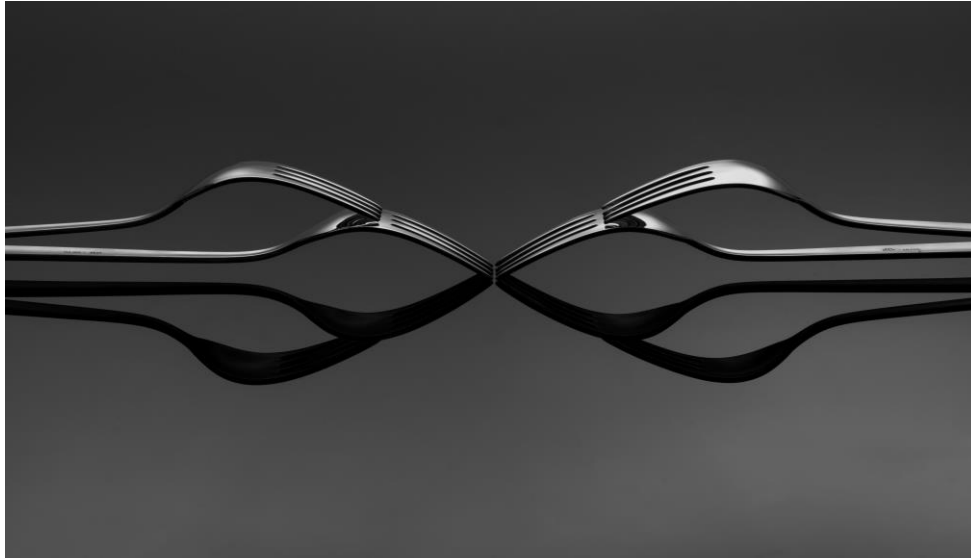
- **الدلالة:** العمل يحوّل الكأس من عنصر وظيفي إلى شكل تجريدي يوحي بالثبات، وربما بـ"مرآة الذات". انظر الشكل رقم (1)



الشكل رقم (1): كأس زجاجي مقلوب على سطح عاكس

العمل الثاني: تناظر معدني

- **العنصر المصوّر:** شوكتان معدنيتان متقابلتان فوق سطح عاكس
- **التحليل البصري:** يوظف العمل تقابلاً دقيقاً بين عنصرين متماثلين لخلق بنية بصرية تُوحى بالتكامل والحركة. الإضاءة الجانبية تعزز الانعكاسات وتخلق شعوراً بامتداد الخطوط إلى اللانهاية، مما يكسب الشوك بعداً فنياً يتجاوز وظيفتها اليومية.
- **الدلالة:** تُجسد الصورة مبدأ التجريد عبر التناظر، وكأنها تمثل علاقة مزدوجة أو حواراً صامتاً بين شكلين متقابلين. انظر الشكل رقم (2).



الشكل رقم (2): تناظر معدني

العمل الثالث: حضور القلم

- **العنصر المصوّر:** قلم ذهبي موضوع بشكل رأسي وسط خلفية سوداء.
- **التحليل البصري:** تركز القلم عمودياً يُضفي عليه هيبة ورمزية، والإضاءة الموجهة تُبرز ملمس المعدن ولمعانه في مقابل العتمة. التكوين البسيط يخدم الدلالة بشكل مباشر، دون عناصر بصرية مشتتة.

تخلق الإضاءة الجانبية تباينًا عاليًا يُبرز لمعان القلم، بينما يسهم الظل الدقيق في إضفاء عمق وتجسيم. الخلفية السوداء تعمل كحيزٍ إلى أن الخلفية البيضاء أو السوداء في صور الاستوديو تُعد تأملي يوظف الفراغ بشكل فعال (well, 2021,p. 54). وتشير جزءًا من البنية الدلالية للصورة، فهي لا تخدم الشكل فقط بل تُعيد صياغة المعنى وتوجّه إدراك المتلقي نحو قراءة رمزية .

- **الدلالة:** يمثل القلم هنا أداة للسلطة أو المعرفة، ويبدو كأنه تمثال رمزي محاط بالفراغ، مما يعمق البعد التأملي للصورة. انظر الشكل رقم (3)



الشكل رقم (3): حضور القلم

العمل الرابع: مشهد دعائي عنب وزجاجة

- **العناصر:** زجاجة عصير عنب مع كأس وحبّات عنب على خلفية حجرية.

- **التحليل البصري:** يجمع التكوين بين الطبيعة والمنتج الدعائي في توازن بصري. الإضاءة موزعة بعناية لتبرز لون السائل ولمعة الزجاج، والخلفية الترابية تعزز الإحساس بالأصالة.
- **الدلالة:** يشغل هذا العمل على حدود الفن والإعلان، ويقدم المنتج بوصفه عنصرًا بصريًا جذابًا لا مجرد سلعة. انظر الشكل رقم (4)



الشكل رقم (4): مشهد دعائي عنب وزجاجة

العمل الخامس: مطاردة صغيرة

- **العناصر:** مجسمات سيارات صغيرة في بيئة من الدقيق والحصي.

- **التحليل البصري:** تُمثّل الصورة محاكاة مصغرة لمشهد واقعي باستخدام أدوات بسيطة. تضفي الإضاءة الموجهة والظلال عمقاً بصرياً وتخلق وهمًا بالحركة والدراما داخل فضاء مصطنع.
- **الدلالة:** العمل يعكس قدرة الصورة على خلق سرد بصري من مواد غير متوقعة، ويُحفّز المتلقي على تأمل العلاقة بين الحجم والدلالة. انظر الشكل رقم (5)



الشكل رقم (5): مطاردة صغيرة

العمل السادس: الكؤوس لوني من زجاج

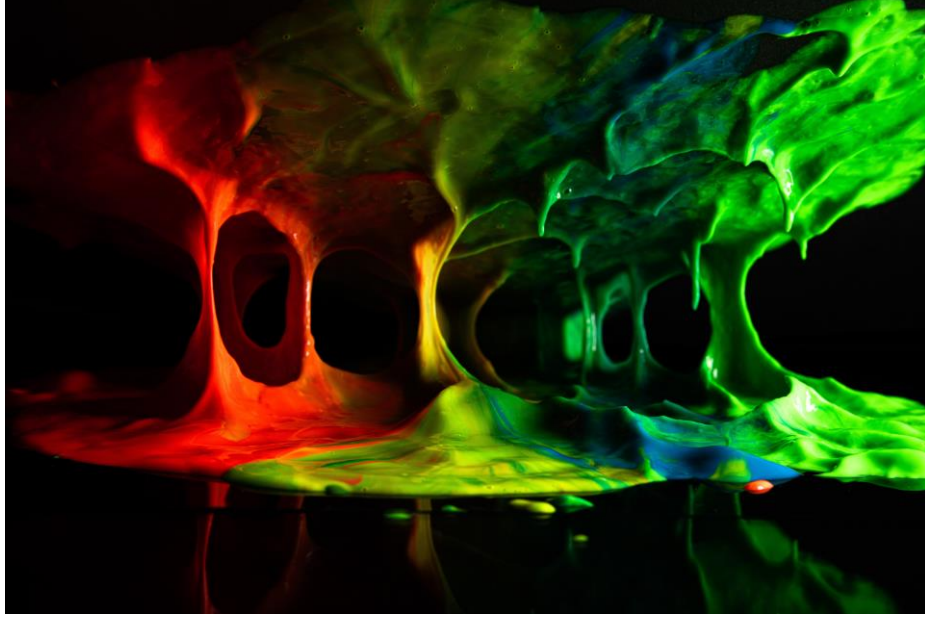
- **العناصر:** ثلاث كؤوس زجاجية تحتوي على سوائل بالألوان الأساسية.
- **التحليل البصري:** يبرز اللعب بالضوء واللون من خلال تداخل الظلال والانكسارات الناتجة عن السوائل الزجاجية. السطح الأبيض والخلفية السوداء يُبرزان نقاء اللون وتوازنه في التكوين.
- **الدلالة:** تُجسّد الصورة استكشافاً بصرياً للعلاقة بين الضوء واللون، كما تعكس حساً تجريبياً قائماً على دراسة الانعكاس والانكسار. انظر الشكل رقم (6)



الشكل رقم (6): الكؤوس لوني من زجاج

العمل السابع: سيلان تجريدي

- العناصر: ألوان سائلة زاهية منسكبة بطريقة حرة على سطح أسود.
- التحليل البصري: يستعرض هذا العمل انفجاراً لونياً عضوياً تُغذيه الحركة والانسياب. تُبرز الإضاءة الموجهة التفاصيل الدقيقة في التكوين، وتخلق عمقاً بصرياً بفضل الظلال والانعكاسات.
- الدلالة: العمل تجريدي خالص، لا يحاكي شيئاً محدداً، بل يُخاطب الإحساس والعين مباشرة، ويوحى بالتحول والطاقة والانفلات من الشكل. انظر الشكل رقم (7)



الشكل رقم (7): سيلان تجريدي

ملاحظات عامة على التجربة البصرية:

1. الضوء كعنصر حاكم: الإضاءة ليست مجرد أداة تقنية، بل أداة تأليف فني.
2. المادة كموضوع: كل عنصر (معدن، زجاج، طين...) يتحول إلى محور سردي.
3. الفراغ والمحيط: استخدام الخلفيات السوداء والعواكس يخلق عالماً بصرياً مغلفاً لكنه مشبع بالدلالات.
4. التكرار والتناسق: في بعض الأعمال يظهر التركيب المتناظر كقيمة شكلية ودلالية.
5. غياب الإنسان: تركز الأعمال على "أثر الإنسان" من خلال الأدوات وليس ظهوره المباشر.

النتائج والاستنتاجات:

أولاً: نتائج عامة مستخلصة من تحليل الأعمال

1. التحول من التوثيق إلى التكوين: أظهرت الأعمال قدرة المصور على تجاوز الطابع التقريري للتصوير الدعائي، نحو خلق صور بصيغة تجريبية تعتمد على التأليف البصري لا التسجيل المباشر.

2. الاستوديو كحيز رمزي وليس فقط تقني: تحوّل فضاء الاستوديو من مساحة وظيفية إلى بيئة فلسفية يمكن عبرها توليد رؤى بصرية مركّبة، تُدار فيها كل عناصر الصورة بوعي جمالي.

3. الضوء كأداة خلق لا مجرد إضاءة: تنوّعت أساليب الإضاءة بين الناعمة والحادة، المباشرة وغير المباشرة، مما دلّ على استخدام الضوء كأداة تكوين رمزي ومسرحي، لا فقط كوسيلة إظهار.

4. المادة كمصدر للرمز: العناصر المستخدمة (زجاج، معدن، سوائل، مسحوق، منتجات بسيطة...) لم تُقدّم بوظيفتها اليومية، بل تحوّلت إلى رموز تجريدية تحمل قراءات نفسية أو فلسفية.

5. التجريد كوسيط للتعبير الشخصي: في غياب العناصر البشرية المباشرة، حملت الأعمال حضوراً ذاتياً ضمنيّاً، حيث عبّر عن الذات عبر الضوء، التكرار، اللون، والاختزال الشكلي.

6. الحرفية التقنية بوصفها جزءاً من الجماليات: التوظيف المتقن للمعدات (كاميرا رقمية، برنامج الربط بالحاسوب، عواكس، معدات إضاءة متنوعة) لم يكن فقط لتحقيق دقة، بل ساهم في تشكيل جماليات العمل البصري.

ثانياً: استنتاجات مركّبة (مفاهيمية)

1. الفصل بين الإعلان والفن أصبح مسألة توجّه لا شكل، فالصورة الدعائية يمكن أن تتحوّل إلى فن إذا ما خضعت لنية تجريبية وجمالية.

2. المصور داخل الاستوديو هو مخرج بصري، يُشرف على العالم المصغّر الذي يصنعه، ويتحكم بكل عناصره لتشكيل خطاب بصري مستقل.

3. التجريد لا يعني الغموض، بل انفتاح الدلالة، فما يبدو صورة لعنصر بسيط قد يكون انعكاساً رمزياً لفكرة، شعور، أو موقف من العالم.

4. استخدام أدوات التكنولوجيا الحديثة لا يلغي الفن، بل يُفعّله، حيث تظهر نتائج العمل كمحصلة توازن بين الفكرة، التقنية، والحس البصري.

الصعوبات البحثية:

1. قلة الدراسات السابقة باللغة العربية: صعب هذا الأمر ربط التجربة بمراجع نظرية محلية أو إقليمية، مما تطلب جهداً مضاعفاً في البحث عن مصادر مناسبة وتحليلها.
2. صعوبة تصنيف الأعمال: نظراً للطابع المركب بين الدعاية والتجريد، كان من التحديات تصنيف الصور ضمن فئة "إعلانية" أو "فنية" بشكل قاطع.
3. التحكم في العوامل التقنية داخل الاستوديو: يتطلب إنتاج هذا النوع من الصور إتقاناً عالياً للإضاءة، زوايا التصوير، الخامات، والبرمجيات، وهو ما يجعل إعادة إنتاج التجربة من قبل باحثين آخرين أمراً معقداً.
4. التأويل المفتوح للأعمال: الطبيعة التجريدية للأعمال جعلت التأويلات محتملة ومتعددة، مما شكّل تحدياً في تقديم تحليل بصري دقيق يوازن بين الذاتية والمقاربة الأكاديمية.

الخاتمة والتوصيات:

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أن التصوير الدعائي، حين يُمارَس بوعي جمالي وتجريبي داخل فضاء الاستوديو، يمكن أن يتجاوز طبيعته التجارية نحو أفق فني وتجريدي يحمل دلالات رمزية وتأملية. وقد أظهرت التجربة أن التحكم في الإضاءة، اللون، الخامات، وزاوية التصوير يمكن المصور من بناء مشهد بصري مستقل، قادر على خلق خطاب خاص لا يعتمد على العنصر الإعلاني وحده.

كما بيّن التحليل البصري أن المنتجات والعناصر اليومية يمكن أن تتحول إلى رموز بصرية من خلال المعالجة الذكية والتكوين المدروس، مما يجعل التصوير التجريدي الدعائي أحد أنماط التعبير الفني المعاصر داخل الاستوديوهات الحديثة. ويؤكد البحث أن الفاصل بين الفن والإعلان بات يعتمد على نية التكوين والرؤية الجمالية، أكثر من كونه فرقاً في الشكل أو الوسيط.

التوصيات

1. دعوة المصورين إلى استكشاف الإمكانيات الفنية الكامنة داخل بيئة الاستوديو، دون الاقتصار على الأغراض التجارية التقليدية.
2. تشجيع المؤسسات التعليمية على تدريس التصوير الأستود كأداة تعبير فني، لا فقط كوسيلة دعائية.
3. التركيز في الدراسات المستقبلية على تحليل تجربة الجمهور في تلقي هذا النوع من التصوير، لاستكشاف التفاعل بين الرمز، الشكل، والمتلقي.
4. دعم الأبحاث النظرية العربية في مجال التصوير الفني التجريدي، لتكوين مرجعية نقدية تنطلق من السياق المحلي.
5. اقتراح معارض فنية مخصصة لهذا النوع من التصوير، تدمج بين المنتج والرمزية، وتعرض الأعمال خارج الإطار التسويقي المعتاد.

المراجع العربية

1. الهواري، عبد الحميد. (2016). التصوير الفوتوغرافي بين التعبير الفني والتوثيق البصري. القاهرة: دار الفنون والإعلام. ص. 35.
2. الزعبي، أحمد. (2020). جماليات الضوء والظل في التصوير الفوتوغرافي. عمان: المركز العربي للنشر. ص. 78.

المراجع الأجنبية

3. **Bull, S.** (2010). *Photography: Routledge Introductions to Media and Communications*. Routledge.
4. **Costello, D.** (2020). *What is Abstraction in Photography?*. University of Warwick. p.9.
<https://wrap.warwick.ac.uk/id/eprint/107551/3/WRAP-what-abstraction-photography-Costello-2018.pdf>
5. **Hirsch, R.** (2012). *Light and Lens: Photography in the Digital Age*. Taylor & Francis. p. 45.

- <https://www.taylorfrancis.com/books/mono/10.4324/9780240824536/light-lens-robert-hirsch>
6. **Kantas, V.** (2014). *Unfolding the Act of Photography*. PhD Thesis, University of the Arts London. p. 102.
https://ualresearchonline.arts.ac.uk/id/eprint/6432/1/vasileios_kantas_PhD_thesis.pdf
 7. **Moullin, V. M. G.** (2017). *The Impact of Commercial and Artistic Photography on the Portrayal of Reality*. Universidade Católica Portuguesa. p. 88.
<https://repositorio.ucp.pt/handle/10400.14/23537>
 8. **Ray, A. E.** (2004). *The Photographic Representation of Light and Space as Medium and Metaphor*. University of Tasmania. p. 66.
https://figshare.utas.edu.au/articles/thesis/The_Photographic_Representation_of_Light_and_Space_as_Medium_and_Metaphor/23208230
 9. **Wells, L.** (2021). *On and Beyond the White Walls: Photography as Art*. In *Photography*. Routledge. p. 54.
<https://www.taylorfrancis.com/chapters/edit/10.4324/9781003107225-6/beyond-white-walls-liz-wells>
 10. **Terpstra, R., & Hoffman, D.** (2024). *The SketchUp Handbook for Interior Design: A step-by-step visual approach to planning, designing, and presenting interior spaces*. Google Books. p. 112.
<https://books.google.com/books?id=kWMJEQAAQBAJ>